سير أعلام شهداء الثورة السورية

القائد العسكري الضيغم - أحمد يوسف المغربي

جمع و ترتيب : أبي الوليد الحنفي

صفر 1443 هـ

المقدمة

الحمد لله خالق الأكوان، منزل القرآن، ذي التفضل والإحسان، والصلاة والسلام على النبي الأمي خير ولد عدنان، من عمت رسالته الإنس والجان، ورضي الله عن صحابته الأفذاذ عظماء الشأن، الذين جاهدوا المشركين بالمال والنفس واللسان، وعلى من سلك سبيلهم وتبع خطاهم إلى يوم يُبعث الناس إلى الديان.. وبعد؛

فهذه سيرة القائد العسكري المجد الباسل المصارع المقتحم الغمرات، المسارع إلى مواطن الفزع والأخطار، مذيق الكفار الويلات، ومحيل عرباتهم وآلياتهم إلى كتل من الحديد المنصهر، الصبور على الشدائد، القائد أحمد يوسف المغربي، الملقب بالضيغم.

وقد اعمدت في تدوين سيرته على شهادة أقربائه وإخوانه، وهم:

- الشيخ أبو عدنان الزبداني، أمير كتائب حمزة بن عبد المطلب.
- الشيخ أبو أحمد الصيدلي.
- القائد العسكري أبو مصعب الزبداني.
- الإداري أبو عمار الحارث.
- الأخ أبو حمزة مغيرة.
- الأخ أبو محمد النمر.

ولادته ونشأته:

ولد في الحارة الغربية في مدينة الزبداني الواقعة في ريف دمشق، وتاريخ مولده 2/ 6/ 1988م، كان والده يوسف في لبنان فتزوج امرأة نصرانية بعد أن أسلمت، إلا أن حياتهما لم يكتب لها الوفاق فطلقها، وعادت إلى لبنان وثبتت على إسلامها.

كان عمر أحمد عندما طلقت أمه ثلاث سنوات، وقد بقي عند أبيه، فربته زوجة أبيه وكانت له بمثابة الأم فكان يناديها يا أمي؛ لرفقها وبرها به، وكان الناس يعتبرونه ابنها.

ولأحمد أخوان وأختان بعضهم أشقاء وبعضهم من أبيه.

كانت أسرته أسرة ملتزمة، فربي على حب الدين والتمسك به، وقد حفظ قسما من القرآن وهو في المرحلة الابتدائية في جامع المحطة وكُرّم لذلك، كان مميزا منذ صغره بالأدب والذكاء، تعلو محياه ابتسامة جميلة تجعله قريبا من القلب يدخل دون استئذان، كما كان محبا للرياضة منذ صغره، وكان يتدرب في بعض النوادي فلقب بـ(بروسلي الزبداني)، وقد بدأ التدرب في السابعة من عمره وكان مدربه يدعى محمود الشمالي، واستمر بالتدرب حتى وفاته، وأما التدريب فقد توقف عنه في بداية الثورة، وكان يدرب في النادي الذي تدرب فيه، ومن الرياضات التي تدرب عليها ودربها (الكاراتيه، الموتاي، الكيك وكسينغ أي ملاكمة الركل) وقد حاز على بطولة الجمهورية في هذه الأخيرة كما شارك في بطولة شرق آسيا.

كان أحمد قدوة لأقرانه بمعاملته ولباسه، كان شعلة من الجد والنشاط حتى إن بعضهم كان يغبطه لشدة محبة الناس له.

كان والده يعمل في التعهد ونجارة الباتون، كما كان يعمل في الزراعة وعنده مربط للأبقار.

درس أحمد الابتدائية في مدرسة حسين علاء الدين، والإعدادية في مدرسة حسن

يوسف، وكان متفوقا، فقد حاز العلامة التامة في مادة الرياضيات، ونال الشهادة الثانوية بعد أن درس البكالوريا في معهد المجد، وكانت شهادته علمية، وقد أهله مجموعه ليدخل كلية الهندسة الزراعية، ولكن كانت أمامه عقبتان؛ الأولى أنها في حلب حصرا، والثانية أن تسجليه سيكون موازيا، فتوجه إلى كلية الحقوق فسجل أولا في حلب، ثم نقل إلى دمشق، وقد وصل إلى السنة الرابعة وقدم الفصل الأول منها، ولم يبق بينه وبين التخرج إلا فصل واحد فيه ست مواد، لكنه انقطع عن الدراسة والتحق بالجهاد معرضا عن الدنيا مؤثرا ما عند الله، وكان ينوي قبل الثورة ألا يكتفي بكلية الحقوق بل يتابع فيدرس سنتين دورة في القضاء ليكون قاضيا بعد، ولم يلتحق بما يسمى خدمة العلم الإلزامية لأنه كان منشغلا في الدراسة.

اعتقاله قبل الثورة:

كان ضيغم ككثير من أهل الزبداني يحب السلاح ويمتلك سلاحا بندقية في بيته، وقد يطلق النار منها في الأعراس، فوشى به واش إلى النظام، فداهمت بيته دورية وقامت باعتقاله ومصادرة السلاح، ومكث في السجن ستة أشهر ليخرج قبيل الثورة بكفالة.

زواجه:

تزوج أحمد في 11/ 11/ 2011م ورزق بولدين بنت واسمها شام وصبي واسمه أحمد.

التحاقه بالثورة:

شارك الضيغم ببعض المظاهرات السلمية في الزبداني، ثم توجه إلى العمل العسكري، فقد كان له صديق يدعى أبا عبد الجليل عرَّفه على أبي عدنان ومجموعته، فانضم إليهم، ونظرا لخبرته بالسلاح فقد صار مشرفا على عمليات شراء السلاح التي تقوم بها المجموعة، ونظرا لما يتمتع به من أخلاق عالية وسجايا كريمة فقد أحبه إخوانه واعتبروه أخا لهم في وقت كان النظام يسيطر فيه على كل شيء وتحركات المجاهدين لا تكون إلا خفية.

اشترى أبو عبد الجليل بندقية نوع (G3) وأعارها للضيغم ليقاتل بها لأنه كان مصابا في رجله، واستمر على حمل هذه البندقية حتى غنم غنيمة من الجيش فباعها واشترى بها بندقية خاصة به نوع (زيك زوا) وهي فخمة جدا ظل يحملها ويقاتل بها حتى استشهاده.

شجاعته والمعارك التي خاضها:

كان الضيغم معروفا بشجاعته الفائقة وثبات قلبه وشدة شكيمته وقوة بأسه، ولذلك قلّ أن تفوته معركة.

شارك بداية في حماية المظاهرات السلمية عندما بدأ النظام يهجم على المتظاهرين وينكل بهم ويعتقلهم، فقد كان يجلس في بناية مع عدد من رفاقه ليمنعوا دوريات الأمن من الهجوم على المتظاهرين.

وشارك في معركة التصدي للحملة الأولى والتي أطلق عليها حملة أبي نمر، وقد انسحبت هذه الحملة بعد أن فجَّر المجاهدون دبابة (ت72).

كما شارك في معركة شباط 2012 والتي تمكن النظام فيها من دخول الزبداني وإعادة نشر حواجزه بعد أن حشد ثلاثين ألف جندي ومعهم ثلاثمائة وستين عربة مدرعة، وقد انشق عدد من العساكر عن النظام في تلك الحملة.

زرع الضيغم مع بعض إخوانه العبوات في جميع مداخل الزبداني في محور السهل ومحور كعب القلعة ومحور الجمعيات.

وفي هذه المعركة أخذ الضيغم بندقية أخ كان مصابا في رجله ورابط مع أبي خالد فؤاد الكويفي في منطقة تدعى كعب القلعة في نقطة منها تدعى أرواد، فتقدم رتل للنظام حتى صار تحتهم تقدمه عربة الشيلكا، وكان سائقها خائفا من العبوات التي ذاق منها النظام عذابا أليما فزرعت في قلبه الرعب، فقال لهم ضابط معهم: لماذا تخافون؟ انزلوا وامشوا لا شيء هنا، فنزل طاقم الشيلكا وبدؤوا يتقدمون رجالة، وقد كمن لهم الكويفي والضيغم، فلما دنوا منهما فتحا عليهم النيران فقتلا المجموعة كاملة وأسرا سائق الشيلكا، فأخذ يتوسل إليهم ألا يقتلوه ويعتذر إليهم أنه لا يعرف شيئا سوى ما حشا به النظام أذنيه من الأكاذيب عن المجاهدين، فمنّ المجاهدون عليه وعفوا عنه وسفروه إلى أهله.

وقد غنم الضيغم من هذه المعركة ثلاث بنادق كلاشينكوف فباعهم واشترى بثمنهم بندقية فخمة استمر يقاتل بها حتى استشهاده.

كان الضيغم عالي الهمة جدا، فلم يترك سلاحا خفيفا أو ثقيلا توفر بين يدي الثوار إلا تدرب على استخدامه، حتى أتقن ذلك، وكان يتفقد سلاح المجموعات، ويذهب إلى سرغايا ليشتري منها السلاح، كما كانت له بصمة قوية في جلب السلاح من لبنان، وكان يدخله إلى الزبداني حملا على الأكتاف، كما تعلم صناعة العبوات وزراعتها مع خالد الكويفي الذي كان مسؤولا عنها.
في حملة شباط انحاز الضيغم إلى الجبل الغربي، وكان الفلاحون يمدون المجاهدين المنحازين بالطعام.

ثم رتب المجاهدون صفوفهم وانحسرت الحملة وركّزت قواها في عدة مناطق في ساحة الجسر وساحة سيلان، كما نصبت حواجز عند دوار الكورنيش وفي الجمعيات وقلعة التل، وعززت نقطة أمن الدولة، وكانت الحواجز تعتقل من شاءت من سكان الزبداني، وصعد جزء من الحملة إلى الجبل، فعادت المظاهرات تجوب في أحياء الزبداني، واتخذ المجاهدون أسلوب القنص والكمائن في التعامل مع النظام، وكان للضيغم دور كبير في نصب الفخاخ للأرتال والسيارات وعمليات القنص.

يقول أبو عدنان: بعد معركة شباط وضع النظام حواجز على أطراف البلد، وذات يوم أردنا أن نضبط عيار قناصة، وبما أن الذخيرة عندنا قليلة فلم نكن نعيِّر القناصة على دريئة، وإنما نعيرها على رؤوس عناصر النظام، نختار حاجزا ثم نخرج لنعير عليه، فأردنا يوما أن نضبط عيار قناصة، فخرجنا إلى منطقة مرتفعة وقدّر الله أن يوجد في ذلك الوقت قائد أركان الفرقة العاشرة، وكان قادما في جولة تفتيش، وكنا يمشي متبخترا والكبر قد ملأ إهابه، فرصده الضيغم وأطلق عليه طلقة فلم تخطئ دماغه، فجاء عقيد أو مقدم ليسحبه فلم يكن حظه بأمثل من حظ سابقه، فجاء عنصر ليسحبه فسقط فوقهما، وتكومت الجثث الثلاث فوق بعضها.

كان الضيغم مسدد الرمي جدا دقيق الإصابة، فقد تقدم النظام مرة على القاعدة الصاروخية بدبابة وسيارة زيل وسيارة جيب بعد أن حررها المجاهدون، وهذه القاعدة هي تل صغير في الجبل، فقال الضيغم لأحد إخوانه وكان معه رشاش (ب ك س): إن تقدموا رمينا عليهم، ثم شاهد جنديا على التلة والمسافة بينهما تسعمائة متر، فقال لصاحبه: أترى ذاك الجندي؟ سأرمي عليه الآن حتى يعلم الجيش أن لنا وجودا هنا فلا يثبتون نقطة، وكانت معه أكاي 104، فوضع العيار على تسعمائة متر ورمى طلقة واحدة فقط، وكان عند المجاهدين تجسس على قبضات النظام، فاتصل الأخ الذي تجسس على قبضات النظام بالضيغم، وقال له: ماذا فعلتم؟ فقال: لا شيء، فقال: هناك عسكري اسمه رامي أصيب الآن في رجله والنظام يطلب له سيارة الإسعاف، ففرح الضيغم فرحا شديدا، وقال: هذه البندقية لا أبيعها ولو بمليون دولار، وتقدمت دبابة للنظام فسحبت العنصر ولم يثبتوا النقطة.

ولما عاد من الشرقي إلى الزبداني قام بضرب المعسكر الذي كان يقصف الزبداني وكانت رماية موفقة.

وذات مرة كان في المقر ويوجد مجموعة مرابطة في المعسكر الغربي تدعى مجموعة الشرطة قد حوصرت، فجاء أحد المجاهدين، وقال: اركبوا في السيارة بسرعة، والطريق مرصود بالدبابات، ولم يخبرهم أن هناك مجموعة محاصرة، فمضى المجاهدون إلى

منطقة تدعى شير القتلى، وكانت قوة من الفرقة الرابعة تقدمت وحاصرتهم بالاستعانة بمخبر، فكان الضيغم أول من وصل في مجموعة من المجاهدين، وقام المجاهدون بالاشتباك مع النظام، فأصيب ضابط يدعى ذو الفقار، وتحول الشبيحة من محاصِرين إلى محاصَرين، فطلبوا مؤازرة، فجاءت عربتا بي إم بي على رأسها العقيد مضر صقر، وهو أوسخ ضابط في المنطقة، وقد حاول المجاهدون اغتياله مرارا فلم يقدر لهم ذلك، فانتشر المجاهدون عند وصول المؤازرة، وكمن الضيغم في مكان صارت العربة فيها أمامه، ففتح مضر باب العربة فعاجله الضيغم بثلاث طلقات أصابت بطنه ويده اليسرى، فنقل إلى نقطة طبية في مقر القيادة وظل يعالج مدة طويلة.

وأما العربة الثانية فقد وفق الله المجاهدين فرموها بالقاذف فوقفت وفر من فيها وغنمها المجاهدون، فلما رآها الضيغم، قال: هذه هدية من الله لنا؛ لأن إصابتها كانت في كبل الكهرباء وعلقت وخرج الجنزير عن الطلمة، فنزل العناصر منها وقطعوا خراطيم المازوت وفرغوها من المازوت والذخيرة وفروا، واستشهد من المجاهدين شاب يدعى عدنان المغربي.

هذه رواية أبي حمزة مغيرة، وفي رواية أبي مصعب بعض الزيادات فنذكرها إتماما للفائدة:

يقول أبو مصعب: أخبر الشيخ أبو عدنان الشباب أنه توجد مغارة في الجبل -كانت مقبرة رومانية- نريد تنظيفها لتكون مقرا لنا، فانطلق بعض شباب لينظفوها، فصادف ذلك قدوم مسؤول المنطقة وهو من الفرقة الرابعة ليستطلع، فرأى الشباب عند باب المغارة، وكان عدد عناصر النظام خمسة أو ستة، فتقدم أحدهم وقال للمجاهد الذي في المغارة: اخرج اخرج، فقال له: سأخرج، ثم التفت إليه ببندقيته فرماه فقتله، وركض واختبأ، وأخذ يطلب عبر القبضة مؤازرة، فكان أول من وصل أبو علي 150 والضيغم مع بعض المجاهدين، وكانوا يريدون التقدم باتجاه المغارة، ولكن الضابط كان قد جهز دشمة وأخذ يرمي منها الشباب، فقتل واحدا وجرح آخر، وتمكن المجاهدون من إصابته بطلقتين، فأخذ يطلب النجدة من حواجز الفرقة

الرابعة، كما أخذ المجاهدون يطلبون مؤازرة، فوصلت للنظام ثلاث عربات بي إم بي ودبابة، وانطلقت مجموعات لمؤازرة المجاهدين، غير أن الطريق كان مرصودا، وسقطت قذيفة أمامنا فاضطررنا إلى إكمال الطريق سيرا على الأقدام، وكان الضيغم و150 في خندق يحاولان إشغال العساكر كي لا يصلوا إلى الأخ المحاصر، فجاءت عربة بي إم بي باتجاههما وتقدمت حتى وصلت إلى مفرق الطريق، وخشي سائقها أن يقتطعوا عن بقية القوة المؤازرة، فاستدار بحركة غبية ليرجع، وكانت أبواب العربة مفتحة، مما جعل العساكر الذين داخلها صيدا سهلا، ففتح الضيغم و150 النار عليهم فقتلوا جمعا داخل العربة، وصار هروب العساكر بالجملة، ورمى عسكري منشق معنا عربة بي إم بي فأصابها وتوقف محركها عن العمل، ففرغها النظام من الذخيرة وفروا، فرابطنا هناك حتى سترنا الليل بظلامه، فزرعنا عبوات في الطريق، وفي اليوم التالي أصلحنا العربة وأخذناها، وكانت إصابتها بكبل الكهرباء.

ومن الأسلحة التي رمى الضيغم عليها الصواريخ المحمولة على الكتف، فقد رمى بقاذف الكوستاف في عدة مناطق في الغوطة والزبداني.

ثم انتقلت الزبداني إلى مرحلة جديدة؛ حيث نزح منها كثير من أهلها بعد أن اشتد قصف النظام بشكل كبير، وبدأ التنظيم العسكري يتخذ صورة هيكلية، وانتخب أبو عدنان ليكون قائدا للزبداني، وأخذ المجاهدون بضرب الحواجز، وكان الضيغم أحد القادة العسكريين والأشخاص البارزين، وأسهم بضرب عدد من سيارات تبديل النوبات بالعبوات الناسفة ونصب كمائن لأرتال النظام.

في الغوطة الشرقية:

توجه أبو عدنان إلى الغوطة في 2012 من أجل العمل على معركة دمشق، وكان يرى أنها المعركة الأهم، فصحبه الضيغم، وهناك تم تشكيل جسم ثوري أطلق عليه تجمع أنصار الإسلام، وانتخب أبو عدنان قائدا له.

يقول الشيخ أبو عدنان: ذهبنا إلى الغوطة في رمضان عام 2012م وكان معي طارق

التل والضيغم وبراء حمدان، ذهبنا إلى دمشق من طريق الجبل، وطول الطريق الرئيس خمسة وأربعون كيلو مترا، أما طريقنا فقد ذهبنا إلى مضايا فالجرد فوادي بردى، ثم مررنا على الطريق الرئيس وعبرنا حاجزين للنظام بعد أن عدلنا من مظهرنا واستجلبنا بطاقات شخصية مزورة، ثم دخلنا دمشق ثم داريا فكفر سوسة لنصل أخيرا إلى الغوطة الشرقية.

ويقول: أثناء وجودي في كفر سوسة وصلني خبر أن النظام سيغلق الطريق ويقوم بحملة، وبالفعل أغلق طريق المتحلق وكنت خارج دمشق بينما الضيغم داخلها، فاتصلت به ليخرج عيالي وعياله ويخرج بسرعة، فركب السيارة وسار فعبر الدورية الأولى بسلام، ثم استوقفته دورية ثانية وكان واضعا مسدسه تحت صرته وليس على خصره ومعه فيه ثماني طلقات فقط، فلما توقف وأخذ يتحدث معهم كان يفكر كيف سيقتل أفراد الدورية جميعا وكانوا خمسة بثماني طلقات، وأثناء ذلك أخذ ابني عدنان -بلطف الله- يبكي، فقالوا له: إلى أين أنت ذاهب؟ فقال: أريد أخذ هذا الطفل إلى المستشفى، فقالوا له: سر.

بدأ تجمع أنصار الإسلام معاركه فحرر كتيبة بالا ومطار مرج السلطان، وقد شارك الضيغم في تحرير كتيبة بالا وتحرير مطار مرج السلطان، وكان معه قاذف ب10 وهو أكثر الأسلحة تطورا في أيدي الثوار حينها، وقد رمى به دون قاعدته، كان يوجد دبابة وغرفة، وأراد الضيغم أن يرمي بالقاذف من مبنى قريب من سور المطار وهو مثبت على قاعدته، ويزن أكثر من خمسين كغ، فحمله على كتفه ورمى به الغرفة، فقتل عناصر الحماية لسور المطار، وكانت بداية الفتح، ثم غنم المجاهدون الدبابة، وكذلك كان رامي قاذف ب 10 في معركة تحرير كتيبة بالا، وكان اقتحاميا أيضا، وهذه الكتيبة علاقتها مع إدارة الدفاع الجوي في المليحة.

يقول أبو مصعب: شارك في معركة تحرير كتيبة بالا عدد من الفصائل منهم كتائب حمزة، وكان الضيغم أحد المخططين للعمل، وكانت مهمته أن يدخل بالدوشكا من الباب الرئيسي، وكان المجاهدون محاصرين الكتيبة، فبدأ الضيغم الهجوم قبل الشباب، ثم شن الشباب الهجوم، وكتب الله الفتح، واستشهد من شباب الزبداني مجاهد -وهو طارق التل- وأصيب آخر -وهو أبو شهاب النقيب-، وفي معركة مرج السلطان لم يكن قاذف ب10 متوفرا إلا معنا ومع جماعة فراس البيطار، إلا أن قاذفهم كان معطلا، فكان الناس يأتون إلينا من أجل رمي الدبابات، وكان الرامي هو الضيغم، فرصد في المطار ثلاث دبابات ولكنه لم يضربهم وضرب غرفة العساكر؛ لأن الدبابات لم تكن ظاهرة بشكل كاف، وبعد يوم ونصف من بدء المعركة ضربت مفخخة سور المطار وتدفقت جموع المجاهدين من عدة جهات، ففتح الله لنا المطار، وغنم المجاهدون دبابتين وضربت الثالثة، وقد سبق هذه المحاولة محاولة لم يكتب لها الفتح واستشهد فيها أربعة وعشرون مجاهدا من لواء الحبيب المصطفى ودفنوا داخل السور، فلما فتح الله لنا استخرجنا جثثهم ونقلناها.

وأثناء وجوده في الغوطة وقبل معركة تحرير كتيبة بالا تقدم النظام في حرستا، فطلب المجاهدون هناك مؤازرة، فخرج الضيغم في مجموعة من إخوانه والمجاهدون هناك لا يعرفون أين وصل النظام، فأخذ الضيغم ومن معه يتقدمون بطريقة التمشيط المعتادة، حتى قطعوا مسافة كبيرة ووصلوا إلى منطقة فيها بنايات عالية، فصعدوا أحدها ليطلوا على ثكنة عسكرية فرأوا عسكريا يمسح سيارة عسكرية فيها سائق، فأرادوا قتلهما، ثم تريثوا وقالوا: لا بد أنهما في انتظار شخصية عسكرية رفيعة، وبالفعل لم يطل بهم الانتظار حتى جاء ضابط فركب السيارة، ففتح المجاهدون النار عندئذ وقتلوا من فيها، فرد النظام بنيران كثيفة جدا، وأصيب طارق التل بشظية صغيرة منها.

ويقول: مكثنا في الغوطة قرابة ستة أشهر، وعدنا إلى الزبداني في بداية عام 2013م، وفي طريق العودة مررنا بالقلمون لنجد النظام قد انسحب منه بشكل كامل من يبرود إلى حلبون، ولم يبق له إلا حاجز يدعى حاجز المزابل، وسبب انسحاب

النظام أنه شعر بالخطر الشديد لتوغل المجاهدين داخل دمشق، فسحب قواته من هذه المناطق، وبدأ بحملات لإخراج المجاهدين من دمشق وتأمين محيطها.

فلما رأينا القلمون خالية من النظام، قلت: يجب أن نؤسس لنا مقرات خارج الحصار الذي فرض علينا في الزبداني؛ ليكون منطلق أعمال هجومية لنا لنفك الحصار عن الزبداني، وقد اعتدنا أن الأعمال الصعبة لا بد أن يبدأها القائد بنفسه حتى تنجح، فلما عدنا أخذت مجموعة من الشباب وانطلقنا إلى الجبل الشرقي، وصادف ذلك أن بايعتنا كتيبة في هريرة وقائدها أبو محمد هريرة، فقلنا له: نريد عمل معسكر في الجبل الشرقي، وكان النظام مرابطا في برج بلودان، وبما أن الشتاء كان قاسيا جدا وقد يصل الثلج إلى ارتفاع كبير، فقد نزل بانتظار الربيع وذوبان الثلوج، فاستغللنا الفرصة وسبقنَا النظام، فلما جاء الربيع وأراد النظام معاودة الصعود فوجئ بالمجاهدين الذين اشتبكوا معه وردوه خاسئا وقتلوا عددا من عناصره، وكنا نتناوب في الزبداني والجبل الشرقي، ثم شاركنا بمعارك القلمون كاملة من يبرود إلى حلبون.

شارك الضيغم في تدريب المجاهدين في الغوطة رياضيا وبذل في ذلك جهدا مشكورا، ثم عاد إلى الزبداني.

تحرير الزبداني من الحواجز:

عندما عاد الضيغم إلى الزبداني كانت العمليات النوعية من قنص وكمائن وعبوات في أوجها؛ فقال الضيغم: يجب أن نتحول إلى مرحلة اقتحام الحواجز -وكانت توجد عملية اقتحام حاجز واحدة فقط في السابق-، فبدأ باستطلاع الحواجز ورصدها عن قرب، واستطلع النقاط العسكرية المحاصرة للزبداني التي كان في القدرة استطلاعها، وكانت الزبداني محاطة بمائتين

وثمانين نقطة، وكان استطلاعا دقيقا ينم عن خبرة وفقه وحرص على الدماء وبعد عن العشوائية والارتجالية.

كان الضيغم مسؤولا عن التسليح والذخيرة وجلبها ووضعها في المستودعات والإشراف عليها وحفظها، ولذلك كان كثير العمل من أجل إدخال الذخيرة والطحين والمواد الطبية إلى الزبداني، وكان يخرج بنفسه غالبا لجلب ذلك، ويرى نفسه غير قادر على إيفاء المجاهدين حقهم إذا خرجوا لجلب ذلك ولم يكن بصحبتهم.

فقد ذهبت كوكبة من المجاهدين مرة لإحضار بعض المستلزمات، فرجعوا في الساعة الثالثة ليلا، فاتصلوا به عند وصولهم إلى نقطة محددة ليأتي بالسيارة ويصحبهم، فجاء إليهم واستلم منهم الأغراض، ثم أخذ يوصل كل واحد منهم إلى بيته، وقال لهم: لو غسلت جواربكم وأحذيتكم فأنا مقصر معكم، كان يشعر أنهم فعلوا جميلا لا يمكن رده؛ إذ إنهم خاطروا بنفوسهم ودمائهم.

كان الضيغم يذهب إلى المعسكر في الجبل الشرقي ويتناوب على ذلك مع بعض القادة العسكريين، وهو أول من ذهب إلى هناك وأسس المعسكر في الجبل الشرقي، وكان للمعسكر الشرقي دور كبير في صمود الزبداني، فهو بوابة إلى القلمون وغيرها، وقد شارك الضيغم قائدا عسكريا أثناء وجوده هناك في معارك القلمون من جهة الزبداني، وقد أسهم إسهاما كبيرا في فتح وشق الطرق وزراعة العبوات واستكشاف مناطق جديدة، حتى إن أحد التلال هناك سمي باسمه تلة الضيغم، وهي على حرف هريرة.

كان الضيغم يفضل العبوات على جميع الأسلحة، ويقول: الدبابة الروسية لا أقوى منها ولا حل لها سوى العبوة، وقد ضرب الضيغم بالعبوات رتلا في طريق عطيب.

جراحه:

مع كثرة المعارك التي خاضها الضيغم إلا أنه لم يجرح إلا مرة واحدة، ولم تكن تلك الإصابة في اقتحام أو صد، وإنما نتيجة سلاح معطّل، وقلة إصابته يمكن إرجاعها إلى فضل الله أولا ثم شدة حذر الضيغم وبعده عن التهور والطيش مع فرط شجاعته، وكان لا يرسل أحدا إلى عمل عسكري إلا بعد أن يكون قد استطلع المكان وأعد العدة وحسب حساب الطوارئ وأخذ الاحتياطات اللازمة.

أما قصة إصابته فقد كان المجاهدون يشترون السلاح من لبنان، فاشتروا مرة مدفع ب10، إلا أنه كان معطلا، والظاهر أن ذلك كان عمدا لتنفجر بالمجاهدين أثناء استخدامها. أخذ الضيغم هذا القاذف وأراد أن يرمي به على حاجز في قلعة التل، فنصبه بعيدا عن الحاجز بخمسمائة متر تقريبا، وقال للأخ الذي معه: استعد للتصوير، سنرمي قذيفتين -والمنطقة خطرة جدا والجيش يرد بسرعة-، وضع إحدى القذيفتين في المدفع والأخرى قربه، ثم لقم القاذف ورمى القذيفة، فانفجر المدفع وتهدم بعض جدران الغرفة التي كان فيها، وتساقطت عليه الأحجار، وسقط الضيغم مغمى عليه، وأما الأخ المصور فظن أن ذلك لشدة ضغط الانفجار وقوته، فقد رُمي إلى الخلف وسقط الجوال من يده، فأخذ يصيح ويقول: توقف لا ترم القذيفة الثانية انتظر انتظر، وكان الغبار شديدا جدا، فسمع صوت الضيغم يئن، فركض نحوه ليجده ملقى على الأرض وقد تضمخت ثيابه بالدماء واحترق ظهره، فسارع بإسعافه إلى النقطة الطبية، وتسامع الناس بإصابته فلم يبق أحد في الزبداني إلا جاء لعيادته من شدة محبة الناس له.

وقد ذكر لي أبو مصعب أن الضيغم كان يرتدي درعا عندما انفجر القاذف.

وكان الضيغم وهو غائب عن الوعي يقول: الله أكبر حي على الجهاد يا بو عدنان بدنا نجاهد، وهذا محفوظ في مقطع مصور (هكذا لهجة أهل الزبداني يسقطون الهمزة من كلمة أ»بو«) وقد مكث الضيغم مدة يعالج حتى كتب الله له الشفاء فعاد إلى العمل مجددا دون أن تلين له قناة أو تضعف له همة أو تنال الجراح من حماسته.

كان الضيغم مهتما بالسلاح إلى حد الهوس، حتى لقب لكثرة استخدامه مختلف الأسلحة ب غراين ديزر الزبداني، وقد رمى بمدفع 23مم والدوشكا في عدد من المعارك، وآخر سلاح تعلم استخدامه ورمى به هو صواريخ الكونكورس، فقد تعرف في المعسكر الشرقي إلى ضابط منشق يدعى أبا العز كونكورس، فتعلم منه رماية هذه الصواريخ حتى أتقنها، ورمي هذا النوع من الصواريخ مسؤولية كبيرة جدا إذ إن سعر الصاروخ الواحد يومها ثمانية عشر ألف دولار.

بعد تعلمه رماية صواريخ الكونكورس رابط مرارا في القلمون، ولكن لم ييسر له هدف يرميه، ولكنه وفق برماية وتفجير دبابة في الزبداني كانت غاية في الإجرام، فقد قتلت هذه الدبابة أكثر من مائة شهيد، وهي دبابة حاجز العقبة، وكان لتفجيرها وقع عظيم في نفوس أهل الزبداني، ففرحوا فرحا كبيرا، ثم رمى بعدها دبابة حاجز الفيلة، وكان يعلم المجاهدين الرماية على الصواريخ، لا يعلمهم إلا لله. ويقول أبو مصعب: تكلم معي الحرس ذات مرة، وقال لي: لو تأتي إلى غرفة الحرس -وغرفة الحرس مليئة بالشاشات التي تنقل صور مواقع العدو- فذهبت لأرى على الشاشة دبابة ظاهرة بشكل واضح، فاتصلت بالضيغم، وقلت له: جهز القاعدة وصاروخ كونكورس، فلما جاء أريته الدبابة -وكنا نظنها كمينا لأنها ظاهرة بشكل واضح جدا- فجهز الضيغم عدته وضرب الصاروخ فشرد، فاتصل بأبي العز وأخبره، فقال: العذر ليس منك، العذر من الصاروخ، فقال: ماذا أفعل؟ فقال: جرّب صاروخا آخر، فأطلق صاروخا آخر فأصابها وجرح ثلاثة عساكر، فسحب النظام الدبابة ليخرج منها الذخيرة، فانفجرت أثناء ذلك، وقتل ثمانية أشخاص بينهم ضباط.

ثم إن الضيغم أراد الحصول على دبابة، وأخذ يقول: يجب أن نغنم دبابة، الزبداني بحاجة إلى دبابة، وأخذ يستطلع الحواجز ويرصد الأمكنة التي يمكن أن يُغتنم فيها دبابة، وحاول الدخول إلى أحد حواجز النظام ليخطف دبابة أثناء نوم العساكر ولكنه أخفق، ثم حاول أبو علي 150 أن يحضر دبابة من حاجز عين الرملة بعد أن نسق مع عنصرين لينشقوا، فأصيب ولم يقدر على إحضار الدبابة بعد أن غدر أحد العنصرين.

كان الضيغم يحمل في جعبته مفتاح غطاء دبابة -كان هذا المفتاح كالكنز بعد استشهاد الضيغم، فقد كان المجاهدون يقولون: هذا مفتاح دبابة ضيغم-، فكان يخرجه ويديره في يده ويقول: نريد دبابة نريد دبابة، ثم استطلع حاجز ظهر القضيب وتقرر ضربه لاغتنام دبابة منه، وتم ذلك ولكن بعد استشهاد الضيغم.

أخلاقه:

كان الضيغم ورعا جدا بموضوع الدماء، حريصا على عدم إراقتها، وكان مفتاح صلح في حل المشاكل، يمنعها من التطور حتى تصل إلى مرحلة القتال، مستخدما في ذلك تحكيم الشرع والعقل، بعيدا عن العواطف غير المنضبطة، كان يحتوي العصاة ويدعوهم إلى التوبة ويدعو لهم بالهداية، مع أنه لم يعمل في الملف الدعوي، لم يعرف عنه أنه تخاصم مع أحد في الزبداني، أخلاقه رفيعة سامية، كان منطقي التفكير بعيدا عن التهور، مع شجاعته يكبح جماح الشباب المتحمسين الذين لا يحسبون العواقب أو يهملون التخطيط ويريدون الاقتحام فقط، كان عنده مبدأ وهو أن الجندي الجيد لا يقتل في ساح المعركة، وهذا ما نفذه عمليا فقد شارك في جلّ معارك الزبداني إضافة إلى عدد من المعارك في الغوطة والقلمون ولم يصب في أي منها.

كان يقول: سأستمر أصلح ما بيني وبين الله حتى أشعر أني مستعد لعملية كعملية البراء بن مالك رضي الله عنه.

كان ورعا في مال الجهاد حذرا من أن يأخذ شيئا منه ولو قلّ، فقد كتب في وصيته كل صغيرة وكبيرة مبينا الأمانات التي في عهدته للجهاد، حتى إنه بيّن أن وصلة الجوال التي يشحن بها جهازه ملك للجهاد وليست له.

كان في حركة دائمة دائبة لا ينتظر أن يطلب منه أحد أن يفعل كذا، بل يبادر بنفسه، وإذا خرج في طلب أمر فإنه لا يعود حتى يحققه ما لم يكن خارج نطاق القوة البشرية.

كان لاسمه رعب في قلوب النظام، فقد كان المجاهدون إذا أرادوا إيقاف دبابة من دبابات النظام عن القصف نادوا على القبضة: ضيغم هناك دبابة ترمي تعامل معها، فلا تمر خمس دقائق حتى تختفي الدبابة خشية أن يكون مصيرها مصير دبابة حاجز العقبة.

يقول الشيخ أبو أحمد الصيدلي: هذا الرجل منذ أن اندلعت الثورة قام ولم يقعد واستفاق ولم ينم، لم يرع في ذلك حقا لبيت ولا لزوجة ولا لأولاد ولا لقرابة، قدّم الجهاد على كل ذلك، هو رجل وصل إلى سمو عال بأخلاقه، لم يعرف عنه قبل الثورة أو في أثنائها طيش الشباب، كان قلّ أن يرى أهله إلا في المناسبات.

كان عالي الهمة شديد الحركة وربما ينتقل في يوم وليلة بين الشرقي والزبداني، علما أن الصعود إلى الجبل شاق جدا، ويستغرق قطعه عادة ست ساعات، وهو شديد الانحدار.

كان شجاعا في جميع المواقف، لم يتلكأ مرة عن معركة، ولم يكن متهورا قط، كان يحسب العواقب بشكل جيد، ضربتنا مرة دبابة وكادت أن تقتلنا، فقلت له: سنضربها، فقال بهدوء تام: ليس وقت ضربها الآن هذا سيفتح معركة، ولما وصلت إلينا القذائف الترادفية وكنا نراها لأول مرة وقد سمعنا عنها كثيرا وأنها أشد تأثيرا من الكونكورس، قلت له: ما رأيك أن نجربها ونضرب دبابة، فقال: لا، سيأتي وقتها ومكانها، وبالفعل انتظر الضيغم معركة مناسبة فاستخدمها، ولم يقم مرة بعمل دون خطة.

كان صاحب حكمة مع صغر سنه، فإذا كان في رحلة مع الشيخ أبي عدنان تقدمه قبل دخول الأمكنة المراد زيارتها، فيزيل ما لا يعجب الشيخ، ثم يقول له: تفضل شيخ.

كان لا يُعرف أنه قائد عسكري؛ لتواضعه ووجوده مع جنوده في جميع الأماكن، ابتداء من ساحة المعركة وانتهاء بأماكن النوم والمطبخ.

وكان يحافظ على حضور مجالس العلم، وعنده انصياع كبير للحق لا يحابي في ذلك أحدا، ولا يقدم على شرع الله صداقة أو أخوة أو قرابة، فقد زل قريب له مرة فخلع الضيغم بدلته العسكرية، وقال: لن ألبسها حتى يؤخذ منه الحق كاملا.

قلت: هذا هو المجاهد الذي صدّق فعلُه قولَه، فلم يبحث عن ذرائع لتضييع الحق والتهرب منه، بل طالب جادا بإقامة الحق كما أمر الله عز وجل، وليس كمن يتاجر بالجهاد وشعاراته، ثم إذا جدّ الجدّ خالفت أفعاله أقواله، ورمى شعاراته خلف ظهره وسوّغ الباطل والظلم وتلاعب بالأحكام الشرعية؛ ليمنع أخذ الحق قادته وأنصاره.

ويقول أبو الحارث: كان عنده حسن ظن بإخوانه جدا، فعندما دخل الكونكورس إلى الزبداني، قال لي: ستذهب معنا، فقلت له: ماذا تريد مني؟ أنا إداري، فقال: لعل الله يفتح لنا بخروجك معنا، -ولم أكن أنا كذلك ولكنه حسن الظن بإخوانه- ففتح الله وفجر دبابة العقبة.

وكان شديد البذل للجهاد، يقول أبو الحارث: لما جاءنا الكونكورس ذهبنا لندخله، وكان إدخاله على مرحلتين؛ الأولى: على ظهور الخيل، والثانية على أكتاف المجاهدين، فكان كل مجاهد يحمل صاروخا ويمشي به مسافة تزيد على أربعة كيلو مترات، وكان الضيغم من ضمن الإخوة الذين يحملون الصواريخ.

ويقول أبو محمد النمر: كان الضيغم مشهورا بالمروءة والغيرة وقوة الشكيمة، خاصة إذا وقع أخ أو أخت في الأسر، حتى إني لما اعتقلت خرج مع بعض إخوانه ولم يعودوا حتى قتلوا أربعة عناصر قنصا في حرستا، كان دائما يقف في صف الحق وعنده إنصاف ولو على نفسه، وربما حرم أقرباءه بعض الأمور وضيق عليهم في الصلاحيات لشدة إنصافه ولكي لا يقال حابى قرابته، كان صاحب أمانة شديدة، ولذلك عُيّن أمينا لمستودع الذخيرة في الزبداني.

ويقول الشيخ أبو عدنان: بعد أن قتل المجاهدون الضابط السمعولي (ذكرت قصة مقتله في ترجمة أبي علي 150) اعتقل النظام الملازم الذي كان ينسق معنا وساقه إلى معسكر الطلائع، فتمكن الضيغم بطريقة ما من تهريبه من هناك، فجاء إلينا وظل يقاتل معنا، ثم استشهد في الغوطة.

ويقول الشيخ أبو عدنان: عند تأسيس الكتيبة في بداية الثورة انضم إليها جل شباب البلد المثقفين وكان منهم الضيغم، وفي حملة أبي نمر ظهرت مواقفه البطولية والقيادية بشكل واضح، فقد كان لا يكل ولا يمل، يعمل وكأنه ماكينة، وهذه سمة ظاهرة فيه جدا، وفي معركة شباط كان هو وأبو زيد في منطقة مرتفعة فأوقفوا تقدم الجيش بقنصهم، حتى عرف مكانهم فرماهم بقذيفة دبابة.

ويقول: هو شاب متعلم مثقف ودود لطيف محبوب كأنه في أهله واسطة العقد، كان شخصية محورية، قريبا دائما من الشباب، يشاركهم في كل الأعمال جليلها وحقيرها، مسدد الرمي، له صلة مع الله، أو كأن بينه وبين الله سر، كان حريصا على المال العام بشكل منقطع النظير، أمين جدا، وقعنا مرة في ضائقة مالية، فجاءني بثمانية عشر ألف دولار -لا يعلم بها إلا الله- فقلت: من أين هذا المال؟ فقال: وضعت في الحسبان أنه سيأتي علينا أيام صعبة نحتاج فيها إلى المال بشدة فادخرته.

استشهاده:

نظم الضيغم عدة عمليات في زعطوط وشارك في تحرير حاجز زعطوط، وبعد انتهاء التحرير جاء فاضجع على السرير، ثم تنهد وقال: الله أكبر، أحتاج أن أنام عشر سنين -لشدة تعبه-، ثم قال: أحتاج أن ألاقي الله، وفي صباح اليوم التالي قام في خمسة من إخوانه، فرصدتهم دبابة من النقطة الثالثة، وأطلقت عليهم قذيفة، فطارت منها شظية أصابت رأس الضيغم، وكان وقتئذ يتكلم مع الشباب عبر القبضة الذين كانوا يقاتلون لتحرير حاجز الشلاح، فسقطت القبضة من يده وخر على الأرض شهيدا، ونظرا لأهميته المعنوية، فقد أخفى المجاهدون خبر استشهاده كي لا تنهار معنويات المقاتلين، وكان استشهاده في 26/ 8/ 2014م.

يقول الشيخ أبو عدنان: كان بيني وبينه متران أو ثلاثة عندما استشهد، فقد كانت لنا سيارة خارج البناء الذي كنا فيه فرصدتها دبابة وأطلقت نحوها قذيفة اصطدمت بسور البناء الذي كنا فيه، فإما سقطت حجرة كبيرة على قفا رأس الضيغم وإما أصابته شظية كبيرة كان فيها استشهاده.

وكان المجاهدون يشعرون بحرج بالغ في إخبار والده باستشهاده، فقد كان عظيم الحب له، فلما أخبروه تلقى الخبر برباطة جأش ورحابة صدر، وقال: كنت نذرته لله، وكان نذر نفسه لله، وراح في سبيل الله.

وقال والده: كلكم لديه أولاد ولكن ليس كولدي، كان مرضيا جدا.
وبالمناسبة فإن والده كان يجاهد بإحضار الطعام للمجاهدين بسيارته مع خطورة ذلك، وقد أرسل النظام قوة من اللجان الشعبية داهمت بيت والده، فاشتبك معهم حتى استشهد بعد أن أصيب بطلقة في رأسه، وكان استشهاده في 20/ 3/ 2015م، وبعد استشهاده بأقل من أسبوع استشهد ابنه الآخر، وكان قائد مجموعة يلقب بالعنقاء، فقد كان يصد تقدما للحزب اللبناني الرافضي في الجبل الغربي في عين الخوخة وكان الاشتباك قريبا فقتل منهم ثلاثة عناصر ثم قتل، وبقيت جثته هناك ودفن هناك، وكان استشهاده في 26/ 3/ 2015م.

وقد رثاه قريبه أبو حمزة مغيرة فقال:

لن تنجبَ الأرحامُ مثلُك ضيغما ... أسدُ شجاعُ دافعاً ومُهاجما
حرُ كريمُ الطبعِ صاحبُ همةٍ ... ما شافت الأصحابُ منكَ تَوَهما
أأنسى فِعلكَ يومَ عينِ الرملة ... من قاذفِ الكوستافِ صارَ مُهدما
اللهُ أكبرُ قُلتَ وقتَ العركة ... ما زلتُ أذكُرُها بصوتكَ دائما
أأنسى فعلكَ يومَ تحرير المطار ... فوقَ الجناحِ دعوتَ ربا منعما
وبغرفةِ الضباطِ أوقعتَ الردى ... يا خيرَ من وَطِأَ المعاركَ أو رمى

قلت: لا شك ولا ريب أن قصد الأخ المعارك التي خاضها الضيغم، ومع ذلك فهذا البيت

وبضربِ صاروخٍ شفيتَ صُدورنـــا ... مـن عَقبةٍ قتلَ الصغارَ وأجرمـــا

وبحاجـزِ الكرنيشِ قلـتَ مَقولـةً ... مُستأذنـــا من ربِنـا مُستعصما

إنَ الجهـــادَ وإن تـــأخـــرَ نَصـــرهُ ... سيكونُ في قصرِ الرئاسةِ قائما

ماذا سأكتبُ عن فعالكَ يا أخـي ... إن البلاغةَ لـن تفيـــكَ تعظُمـــا

لن يستطيعَ الحرفُ حملَ صفاتك ... وسيشتكي ويقولُ عني ظَالمـا

الخاتمة

وبعد؛ فهذه لمحات من حياة قائد، وومضات من جهاد بطل شجاع، ولقطات متناثرة من سيرة رجل أحب دينه ففداه بروحه ودمه.
هذه قبسات شتى وعبر مختلفة، تبين صفات القائد الحق الذي يعتبر القيادة مغرما لا مغنما، ومسؤولية لا تسلطا على رقاب العباد.

هذه شذرات متنوعة تنير الطريق اللاحب للأجيال القادمة التي ستحمل راية الجهاد بعد هذا الجيل وتمضي به قدما في طريق النصر بإذن الله.

هذه نسمات عطرة من بساتين الجهاد والبذل في سبيل الله والدفاع عن المستضعفين، توضح أن من جاهد فإنما يجاهد لنفسه، ومن جبن ونكل فلن يضر الله شيئا، والله غني عن العالمين.
ألا رحم الله القائد الضيغم، وغفر ذنبه، ورفع درجته، وتقبل جهاده، وأكرم نزله، وجمعنا به مع نبينا محمد عليه الصلاة والسلام في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

الفهرس

مقدمــة 1
ولادته ونشــأته 2
اعتقاله قبل الثــورة 3
زواجه 3
التحاقه بالثــورة 3
شــجاعته والمعــارك التــي خاضهــا 4
في الغوطة الشرقية 8
تحرير الزبداني مــن الحواجــز 11
جراحـــه 13
أخلاقــه 15
استشهاده 18
الخاتمة 21